



التحولات المعاصرة في الفن التشكيلي الجزائري

Contemporary transformations in Algerian visual art

جعفر عبد الباقي²

جامعة الجلفة

djaafarabdelbaki2022@gmail.com

زيتوني عبد الرزاق^{1*}

جامعة الجلفة

abderrazak.zitouni@univ-djelfa.dz

تاريخ القبول: 2026/04/17

تاريخ الاستلام: 2026/01/23

Abstract :

Algerian visual art originated from its earliest beginnings at the hands of early humans whose fingers recorded sculpture, engraving, and drawing. These practices sometimes had a utilitarian function and at other times were an aesthetic expression. Thus, art proceeded in this manner, influenced by radical and profound transformations and changes with the different eras and historical periods. It glorified the heritage and cultural legacy of the country, striving to make it a mirror reflecting the content, idea, and aesthetic values that revive and encourage aesthetic pleasure and taste in society. However, the stage of major transformations began with modern art and was reinforced with the contemporary transformation that the world witnessed and that affected various countries, including Algeria, which in turn entered into artistic modernity, gathering various previous traces and evidence to be a starting point and a path that is respected and referred to for representation and expression in various fields that affect the individual and Algerian society.

Keywords : Visual arts; Algeria; transformations; contemporary.

ملخص:

نشأ الفن التشكيلي الجزائري منذ بداياته على يد الإنسان الأول الذي سجلت انامله النحت والنقش والرسم وكانت هذه الممارسات تارة ذات وظيفة نفعية وتارة أخرى تعبيراً جمالياً وهكذا سار الفن على هذا المنوال متأثراً بتحولات وتغييرات جذرية وعميقة باختلاف العصور والفترات التاريخية وكان يمجّد التراث والموروث الحضاري للبلاد ساعياً إلى جعله مرآة عاكسة للمضمون والفكرة والقيم الجمالية التي تحيي وتشجع على المتعة والذوق الجمالي في المجتمع غير أن مرحلة التحولات الكبرى بدأت مع الفن الحديث وتعززت مع التحول المعاصر الذي شهده العالم واثراً في مختلف البلدان ومنها الجزائر التي ولجت بدورها إلى المعاصرة الفنية مستجمعة مختلف الآثار والشواهد السابقة لتكون منطلقاً ومساراً يعتد به ويرجع إليه تمثيلاً وتعبيراً في شتى المجالات التي تمس الفرد والمجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الفن التشكيلي؛ الجزائر؛ التحولات؛ المعاصرة.

مقدمة

مما لا يدعو لشك فان الفن التشكيلي أسهم عبر مختلف عصور تاريخ الجزائر في إبراز القيم الإنسانية والفنية والجمالية، إذ سعى الإنسان البدائي إلى التعبير عن ذاته وإبداعه في خضم الحياة اليومية، من خلال البحث عن وسائل للتعبير والتواصل، فقام بنقش الصخور وعمارة الكهوف وعمل على تنمية قدراته المادية والمعنوية. وقد أسهمت أبحاث علماء الآثار في الجزائر في الكشف عن تنوع كبير في مجالات النقش والنحت والرسم والخط، المنتشرة عبر مختلف مناطق البلاد. ومع تعاقب الحقب التاريخية وتطور المسار الفني وصولاً إلى الفن الحديث والمعاصر، يبرز الدور البارز للفن الغربي في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث وفد المستشرقون الذين أعجبوا بما تزخر به الجزائر من جمال طبيعي وثراء فني وتراثي واسع، فكان لذلك أثر متبادل بينهم وبين مجموعة من الفنانين الجزائريين الذين أسسوا البدايات الأولى للفن الحديث، نتيجة الاحتكاك بالمستشرقين والتنقل بين الجزائر وباريس، واستلهم المدارس والأساليب والاتجاهات الفنية الحديثة من التجارب الأكاديمية الغربية.

وفي هذا السياق جاء الدراسة لتسلط الضوء على عدة إشكاليات في الموضوع المتناول وصيغ الإشكالية كالآتي:

ماهي التحولات التي طرأت على الفن التشكيلي الجزائري؟ وماهي الإشكاليات التي طرح حوله خاصة مع الحداثة والمعاصرة؟ وهل رافق الفن التشكيلي الجزائري تطور فكري أم هو زمنيا فقط؟

1- بدايات الفن الجزائري

تعد منطقة التاسيلي في الجزائر من ارقى المناطق في العالم، اذ تحتوي على جزء هام من التراث والفن الجزائري والعالمي، مما جعلها مسرحا ومرسما مفتوحا للفنون الصخرية والجدارية. يعود فن التاسيلي الى العصور ما قبل التاريخ، حيث عبر الانسان الاول عن حياته بما وجدته في بيئته في ذلك الوقت، وقد دلت الرسومات والحفريات على معاني وجوده وارتباطه العميق بالمكان¹ عبرت نقوش ورسوم على جبال وهضاب التاسيلي عن قيم انسانية خالصة، اذ رسمت بسلاسة وواقعية، وصورت الحيوانات والفعاليات والاعمال التي كان يقوم بها الانسان في ذلك الزمان. شكلت نقوشه تعبيراً وكتابة ورسم عن كل الطقوس والتبادلات الاجتماعية². كل الانشطة التي قامت في منطقة التاسيلي

¹ عبد الرحمن علي، الفن في الجزائر ما قبل التاريخ، الجزائر، دار الثقافة، 2015، ص 42

² بلقاسم فاطمة، الفن الصخري في تاسيلي ناجر، وهران، المركز الوطني للبحث في الآثار، 2018، ص 67

هي تفاعلات وجدانية وروحية، بنيت على الروابط التي تجمع الانسان بالبيئة الصحراوية، حيث تلاحت فيها كل المعطيات والسياقات التاريخية له. استند الفن التاسيلي على طبيعة الاشياء الموجودة لرسم وينقش بالألوان والادوات والوسائل المتوفرة له، ل يتيح له التعبير عن هواجسه وانفعالاته وتصورات الوظيفية او الغائية³. بموازاة ذلك فان فن التاسيلي شكل مخزون معرفي للفنانين المعاصرين ليكون لهم مصدرا داخليا للفن يستثمرونه في تشكيلات فنية تحمل موروثا ثقافيا وحضاريا مؤسسا على الرمز والوشم والشكل والتقنية ليبرز الهوية البصرية انطلاقا من التراث المحلي.⁴

ومن الحركات اعتمدت حركة الاوشام ومدرسة العلامة في خطابها ورسائلها وبياناتها على تكريس وتعزيز التراث التاسيلي كإحدى المصادر المهمة في التجسيد التشكيلي المعاصر مما وحد المعطى الفني ليروج للشواهد المحلية والشعبية للجزائر.

2- تحديات الفن التشكيلي الجزائري

شهد الغرب مع بزوغ عصر النهضة جملة من التحولات في شتى الميادين السياسية والاقتصادية والعلمية والفكرية ساهمت في بلورة معالم الثورة الصناعية الأوروبية التي أدت إلى ثورة موازية اجتماعية متعددة الأفكار والأحداث والإيديولوجيات التي أنجبت الحداثة العلمية والفكرية والتكنولوجية التي زادت في وتيرة التسارع في التطور التقني والفكري والفني على جميع الأصعدة وبعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت دمار كبير وخروج العالم منها منهكا، زادت الضبابية والقلق وعدم الاستقرار لدى المجتمع. بالمقابل تجرع كذا الفنانين والمفكرين من هاته التغييرات فتبدل التعبيرات والمفاهيم ودخول في جمل من التناقضات الفكرية والفنية والأخلاقية والنفسية أدت إلى بروز واقع مليء بالصراعات والأحداث التصادمية التي تحولت مع بدايات السبعينات إلى ما بعد الحداثة في جميع الميادين. حتي في مجال الفنون أصبح فن ما بعد الحداثة أو فن معاصر وقد تعددت مدارسه واتجاهاته.

ويذكر سعيد عبدالله "تمخضت الحقبة المعاصرة في الفن عن أساليب عدة تحتاج قراءتها ووعي مضامين أعمالها لدراسة مبرراتها الفكرية وتأسيسها الفلسفي، بالرغم من أن الفنون المعاصرة تعالقت وإلى حد بعيد مع التكنولوجيا التي هي سمة العصر، إلا أن البحث في الأرضية المعرفية

³ مصطفى أحمد، الألوان والتقنيات في الفن الجزائري القديم، الجزائر: دار الفكر الحديث، 2020، ص 89.

⁴ شريف محمد، التحولات الفنية من التاسيلي إلى الفن التشكيلي المعاصر، الجزائر، مطبعة الفنون، 2019، ص 101.

للفنون يعين في وعيها وإدراكها من قبل المتلقين، لاسيما وان ما بعد الحداثة اتجهت بشكل كبير لمخاطبة الجمهور وانفتحت على فضاء المجتمع وشرعت الأبواب للجميع بعد إن كانت الجماليات حكرا على النخبة المثقفة أو المبدعة.⁵

وفي الجزائر، برز فنانون الجيل الأول الذين تركوا بصمات جميلة ومتميزة في الفضاء التشكيلي الجزائري، وأسهموا في إضفاء ديناميكية تشاركية، وكان لهم الفضل في تثبيت دعائم النهضة الجمالية والتعبيرية للتمثيل التشكيلي. نذكر منهم: إزواو معمري، عبد الحليم همش، عبد الرحمن ساحولي، محمد زميرلي، أحمد بن سليمان، عبد القادر فراخ، ميلود بن كرش، وباية محيي الدين... وغيرهم. وبعد ذلك جاء الرعيل الثاني من الجيل نفسه، نذكر منهم: فارس بوخاتم، عبد القادر هوامل، وغيرهم.

لكن بعد الاستقلال، وهي فترة بناء الجمهورية الجزائرية وبرز التيارات المعاصرة في العالم الغربي، ظهر الفن بصورة جديدة على يد فناني الجيلين الأول والثاني، الذين أسهموا في تنوير الحقل الفني بمختلف الأعمال الإبداعية، ويُعدّون الأعمدة الأولى لهذه المرحلة. نذكر منهم: محمد الصغير، عابد مصباحي، إسماعيل صمصوم، نجّار، بوردين، حمشاوي، داودي، إضافة إلى شقران، سعيداني، بن بغداد، حكار، حنكور، عبدون، زارتي. كما نذكر باستمرار: عبدان، نوار الطيب صوفاني، محمد دباغ، مصطفى عدان، عبدون، وزراني، وكذلك علي كربوش، مصطفى أجعوط، بن تونس، مقداني، وبوبكر صحراوي.

وفي السياق ذاته، شهدت الساحة الفنية ظهور وبرز فنانيين معاصرين، تعددت أساليبهم واتجاهاتهم، نذكر منهم: دونيس مارتيناز، حسين زياني، سامية مرزوق، مصطفى نجاي، كريم سرقوة، مباركي أحمد، بوكرش محمد، قادر عطية، أمين خوجة، وغيرهم.

علاوة على ذلك ظهرت المهرجانات والندوات والملتقيات ودور العرض والمتاحف زيادة على ذلك إلى ظهور التعليم العالي للفنون في الجامعات والمعاهد، مع بواصر العشرية السوداء اضمحلت الفنون لدخول في البلاد في الحرب الاهلية.

ويبقى أننا في الجزائر والوطن العربي مازلنا نواكب التحولات المستمرة في العالم الغربي زمنيا فقط لا فكريا ولا علميا ولا إعلاميا ولا فنيا إلا من ندر من المحاولات الفردية والشخصية وإذا رجعنا إلى تاريخ الفن الغربي من النهضة إلى الحاضر هذا نجد أن فلسفة الفن المعاصر جاء نتيجة

⁵ سعيد عبدالله الوائل، سعيد عبدالله الوائل، نظريات الفن المعاصر، كلية الفنون الجميلة، الأكاديمية العربية في الدنمارك،

الوصول إلى عمق التفكير العقلي و اختلاجات النفس والأحاسيس والمشاعر وقلقها والصراعات الأزلية بين الوجودي والميتافيزيقي والأسطوري وإلى هدم القيود والحوجز من العادات والتقاليد وإلى الموروث والدين بالإضافة إلى الوصول إلى صلب ولب الأنا الإنسانية المهمة والأشياء المحيطة بها ومحاولة تحليلها وتفسيرها.

مازلنا في الجزائر أننا نبحث عن أنفسنا في هذا العالم الفسيح ونحول جاهدين الوصول إلى ركب الأمم المتقدمة فما زلنا في مرحلة التنمية في شتى مجالات العلوم والمعرفة والفكر والفن ومازلنا في مرحلة التبعية في جميع الأصعدة وأننا في جو يسوده التقليد والمحاكاة العمياء ليس من الطبيعة بل من الغرب رغم ما لدينا إمكانات هائلة ومخزون فكري ضخم فالتبعية معاصرة والفن معاصر والفكر معاصر والعلم معاصر ليس لنا من المعاصرة إلى الزمن فقط بل يستوجب القيام بثورة فكرية من التراكمات بما هو كان و كائن ويكون من الموروث والمعاصر .

يشير فريد الزاهي إلى أن الحداثة الفنية العربية لم تدرس بعد دراسة شاملة، فلم يكتب تاريخ فننا الحديث بعد، ولم تُفكك تفاصيل مسارات تطوره بعد، ولا تزال آفاقه بحاجة إلى فهم أعمق. ومع اندفاع الفن نحو مجالات متسارعة التغير، برز التجهيز (المنشأة) Installation كحقل يختبر التفاعل بين الفراغ والأشياء والمكان، فيما تقدم عروض الأداء (المنجزة) Performance تحويلات جذرية للجسد الفردي والجماعي مما يفرض إعادة قراءة علاقتنا بالفنون البصرية واللغة، ويدفعنا إلى إعادة تصور الفن بوصفه ممارسة تتجاوز الشكل لتصبح تجربة فكرية وحسية متكاملة.⁶

وفي الجزائر مازال الفكر والزمن لا يعانقان المعاصرة، لكن لا ننكر المحاولات المبذولة لنهوض إلى المستقبل الأفضل من خلال الاستنباط والبحث من الآخر، ففي مجال الفنون التشكيلية كان دور مهم من النخبة في تجميع المساهمات المتراكمة عبر الأجيال في صقل الشباب الجديد وتوسيع المشاركات من خلال الملتقيات والندوات ودور العرض والمسارح والمهرجانات والجمعيات التي تؤدي دورا فاعلا في تنشيط المشهد الثقافي، كما أضحت وسائل التواصل الاجتماعي عنصرا مؤثرا بفعل تصاعد حضورها في ترسيخ ثقافة الصورة والفيديو على مختلف المستويات، إلى جانب إسهامها المتزايد في تشكيل الرأي العام والتأثير في مسارات اتخاذ القرار.

⁶ فريد الزاهي، الحداثة أم المعاصرة في الفنّ العربي؟، ندوة عن الفنّ المعاصر ، أصيلة، المغرب، 21 أكتوبر 2014

3- قراءة في لوحة تشكيلية من فنون التشكيل الجزائري



7 حاملات الماء

البطاقة التقنية

- اسم المنجز الفني : حاملات الماء
- اسم الفنان : جوستاف غياميه (1840–1887)
- الأسلوب الفني : الواقعية
- مقياس اللوحة : 33.02*45.72 سم
- نوع الخامة: زيت على لوح خشبي
- تاريخ الإنجاز: القرن التاسع عشر
- مكان الرسم: بوسعادة، الجزائر

⁷- <https://www.invaluable.com/auction-lot/gustav-achille-guillaumet-french-1840-1887-the-wa-1773-c-ap1wyg2r15>

تحليل اللوحة

تجسد لوحة «حاملات الماء» نموذجًا من الأعمال الفنية الاستشرافية في الجزائر، وبالتحديد في مدينة بوسعادة حيث تظهر اللوحة امرأتين باللباس التقليدي على ضفاف الواد، تعطي الصورة مشهدًا من الحياة الاجتماعية للمدينة، التي أسر عدد من فناني الاستشراق، ومن بينهم ناصر الدين دينيه الذي أحيا وأبدى اهتمامًا بها حتى أوصى بدفنه فيها.

وفي ذات المنوال، تحكي لوحة الفنان جزءًا من الحياة الواقعية في المدينة، التي يتسم سكانها بالبساطة والعفوية، وتصور المشهد الموروث الثقافي من لباس تقليدي وجرار ومباني، في جو من الحياة المعتادة للنساء في المجتمع المحلي. وبطبيعة الحال، يسعى الفنان دائمًا إلى إخراج عمله الفني بصورة تلي الذوق الجمالي والتعبيري؛ فقد استعمل الألوان الطبيعية التي تعكس جوًا من المتعة والراحة في أجواء الصحراء والهضاب، التي تمتاز بالسكنية. فظهر اللون الأخضر والأزرق والبني والأبيض في تناسق وانسجام، ليعكس الارتباط الوجداني بين المكان والزمان والإنسان. كما أظهر الفنان المنظور اللوني والخطي ليعطي اللوحة إحياءً بالعمق ويقربها من الواقعية، مستخدمًا تدرج الألوان وإبراز الأبعاد الثلاثة في التمثيل، مع الاهتمام بالضوء والظل لتحديد حجم الشخصيات والأشكال، ووضع المشاهد في قلب العمل الفني.

الخاتمة

إن المتبصر في فضائنا الشاسع الفسيح، في بلدنا الجزائر من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، يدرك بأنها بحق مخزون فكري وثقافي، ولها تاريخ حضاري وفني عريق، وتتميز بتعدد ثقافات وعاداتها وتقاليدها، وبطاقاتها البشرية الهائلة التي تجعلها تستحق مكانة تليق بها. لكن الحقيقة هي أننا بحاجة إلى السعي نحو نهضة فكرية تنبع من صلب أعماق الهوية التراثية الإسلامية، مع مزجها بما وصلت إليه الحضارة الغربية المتفوقة فكريًا، لنتمكن بذلك من اختصار الوقت وبلورة معالم رفع كفة التفوق لصالحنا، مستفيدين مما نملكه من مقومات في شتى المجالات،

المراجع

- بلقاسم فاطمة، الفن الصخري في تاسيلي ناجر، وهران، المركز الوطني للبحث في الآثار، 2018
- سعيد عبدالله الوائل، سعيد عبدالله الوائل، نظريات الفن المعاصر ، كلية الفنون الجميلة ، الأكاديمية العربية في الدنمارك
- شريف محمد، التحولات الفنية من التاسيلي إلى الفن التشكيلي المعاصر، الجزائر، مطبعة الفنون، 2019
- عبد الرحمن علي، الفن في الجزائر ما قبل التاريخ، الجزائر، دار الثقافة، 2015
- مصطفى أحمد، الألوان والتقنيات في الفن الجزائري القديم، الجزائر،: دار الفكر الحديث، 2020
- فريد الزاهي، الحداثة أم المعاصرة في الفنّ العربي؟، ندوة عن الفنّ المعاصر ، أصيلة، المغرب، 21 أكتوبر 2014
- <https://www.invaluable.com/auction-lot/gustav-achille-guillaumet-french-1840-1887-the-wa-1773-c-ap1wyg2r15>